نظام التعليم والمدارس السومرية

نصرت أدمو

13 اذار 2003

السويد

نبذة تأريخية

ادرك السومريون منذ ابتكارهم الخط المسماري ورموز الأرقام العددية أهمية نقل هذه المعلومات الى الأجيال الأخرى فضلا عن سد الاحتياجات الانية المتزايدة للكتبة والمحاسبين في معابدهم وأعمالهم المختلفة فقد كانت هذه المعابد هي الراعية الاساسية للحياة الاجتماعية والاقتصادية في حواضرهم، لذلك عمل السومريون على انشاء نظام خاص للتعليم من اجل تهيئة الأفراد المدربين الذين باستطاعتهم القيام بأعمال التدوين والحساب لتمشيه متطلبات اعمال الإدارة والتجارة وحفظ التعاليم الدينية، وهو ما مكّن من حفظ معارفهم وعلومهم والمعلومات عن طرق الحياة لديهم وكافة جوانب تراثهم لحد ألآن. ويمكن ان تُعتبر الحضارة السومرية الأولى بين الحضارات التي أسست للمدارس وطرق التدريس واكتسب التعليم فيها أهمية خاصة .

في كتابه “السومريون" يقول صموئيل نوح كريمر ما يلي : "من الناحية التاريخية فأن أعظم أنجاز قدمه السومريون للحضارة كان هو الكتابة ألمسمارية ونظام التعليم ألذي أنبثق عنه"، ثم يضيف "وبدون أية مبالغة لولا القدرات ألخلاقة والمثابرة ألتي أتسم بها أولئك المعلمون المجهولون من ذوي الكفاءة ألعالية والنظرة ألعملية ألثاقبة ممن عاشوا في أوائل ألآلفية الثالثة قبل الميلاد فأن من غير ألمرجح أن يبلغ الإنجاز في العلم ما بلغه في العهد ألحديث ، فقد كانت بلاد السومريين ألمعين ألذي أنتشر منه التعليم حول ألعالم"[1].

نشأت أقدم المدارس ألتي عرفها التاريخ في مدينة أوروك فقد عُثر في أثارها على العديد من النصوص مكتوبة على الواح الطين تعود الى الربع الأول من الالفية الثالثة قبل الميلاد و تضمنت تلك النصوص قضايا أداريه واقتصادية كما كان ألعديد منها على شكل قوائم بمفردات لكلمات مستعملة في اللغة السومرية ومن محتوياتها أيضا قوائم بأسماء نباتات وحيوانات وغيرها من الأشياء وكأنما قد أعدت خصيصا للاستذكار مما يشير الى وجود تلاميذ ومعلمين من الكتبة كان شغلهم ألشاغل ألتعلم والتعليم. وكانت هذه أولى الشواهد على وجود نظام للتعليم لدى السومريين. وكانت هذه القوائم المعجمية من وسائل التعليم المستخدمة لتدريب التلاميذ الجدد الذي كان عليهم استنساخها واستذكارها، وبقيت تلك القوائم من اساسيات التعليم حتى اندثار معالم الثقافة السومرية في الفترة المبكرة من الحقبة ألحالية .

من المعلوم بأن الكتابة السومرية أصبحت تمتلك قدرا كبيرا من المرونة خلال أوائل فترة فجر السلالات (2900- 2340) ق. م عندما استطاع الكتبة تدوين اللغة السومرية المنطوقة بواسطة الخط المسماري المتطور، ونتيجة لتلك المرونة والحرية في التعبير تمكن أولئك الكتبة من تدوين النصوص الشعرية التي تُمجد الآلهة والابطال والحكام والملوك وغيرها من الاعمال الأدبية المختلفة. وعلى الرغم من إجراءات الملك السومري شولكي الملك الثاني من سلالة اور الثالثة لطمس معالم تلك المآثر في محاولة لتغييرها كي تصب بدل عن ذلك في تمجيد سلالته فقد نجا من تلك المحاولات عدد كبير من النصوص تلك وكان العديد منها مما كان يُدّرس في المدارس السومرية في عصر فجر السلالات والفترة الأكدية التي سبقت تلك السلالة [2].

ويمكن القول بأن التعليم ازدهر ووصل الى درجة عالية من النضوج خلال النصف الأخير من الالفية الثالثة حيث يعتقد بوجود عدد كبير من المدارس حينذاك قامت بتعليم القراءة والكتابة والرياضيات بصورة منهجية. فقد عُثر في شروباك القديمة على ما يشبه الكتب المدرسية تعود الى 2500 عام ق.م احتوت على قوائم بأسماء الآلهة أضافة الى أسماء الحيوانات والنباتات والعديد من المواد الأخرى أضافة ألى مفردات لغوية وجمل ومقاطع من جمل وعبارات متنوعة. وجرى الكشف من خلال التنقيبات على الاف الالواح الطينية كما ويعتقد بأن هناك ولايزال عدة الاف أخرى منها لم يجر الكشف عنها لحد الان وكلها لنصوص تخص الحياة الاقتصادية والجوانب الإدارية من الحياة السومرية. وهذا يدعونا ألى الاعتقاد بوجود اعداد كبيرة من الكتّبة ألذين مارسوا الكتابة باعتبارها مهنة رائجة، فكان منهم كتّبة المعابد وكتّبة الحكومة والقصر، كما كان هناك الكتبة من ذوي التخصص العالي بالشؤون الإدارية المختلفة الامر الذي مكّنهم من تبوء مناصب عالية في إدارة الدولة. ولم تعط الالواح المكتشفة من المراحل المبكرة وصفا مسهبا لسير عملية التعليم إلا ان ما رشح من المعلومات من الكثير منها خاصة تلك التي تعود للفترة (2500- 2000) ق. م كان يوثق بصورة غير مباشرة عمل النظام التعليمي المتّبع، كما حوى عدد كبير منها أيضا على نصوص كانت في جوهرها نصوص للواجبات المنزلية للتلاميذ وتدريباتهم الصّفية بدأ من الطلاب المبتدئين الى أولئك المتقدمين جنبا الى جنب مع التصحيحات والارشادات والتقييمات المؤشرة عليها من قبل معلميهم مما يجعل هذه الالواح كثيرة الشبه مع (دفتر الواجبات ألمنزلية) في النظام التعليمي الحالي. وجاء من المكتشفات أيضا العديد من النصوص التي حوت على المقالات الأدبية عن الحياة اليومية مما كان يعتبر مادة تُدّرس في تلك المدارس حيث كشفت اثار مدن اوروك واور ونيبور وشروباك وأبو صلابيخ العديد من الأدلة عن هذه الامور تعود للفترة (2000- 1500) ق.م . وبالتالي يمكن القول بأن علماء الأثار قد تمكنوا بعد الجهود المضنية في البحث والتوثيق والترجمة من رسم صورة واضحة عن النظام ألتعليمي السومري عموما والمدارس السومرية خصوصا وكما سيرد في التفاصيل اللاحقة [3].

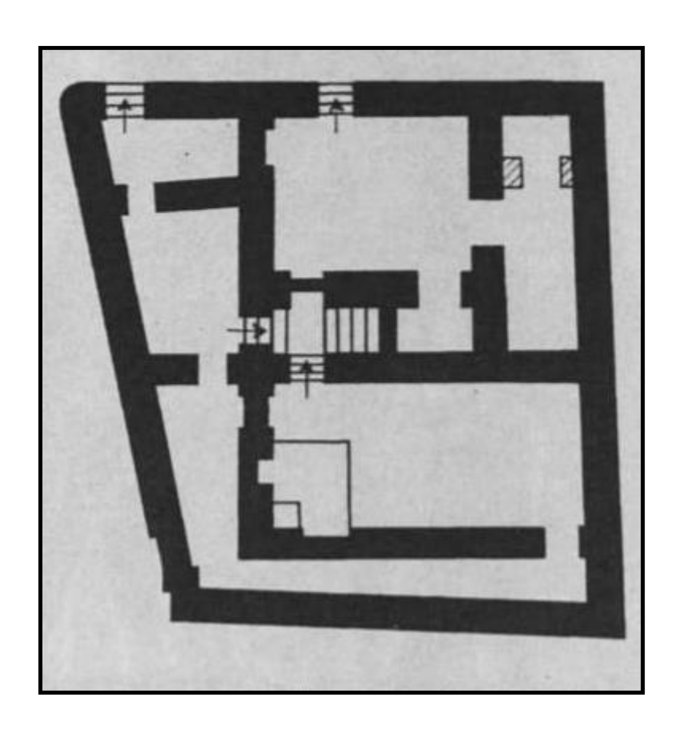
المدارس السومرية

سميت المدارس باللغة السومرية (إيدوبّا edubba) وفي الاكدية (بيت توپّي bît tuppi) وتعني "بيت الألواح" بسبب الألواح الطينية التي كانت تُخزن فيها لأغراض الاستعمال في العملية التعليمية. وقد كشفت التحريات الاثرية التي جرت قي اور وسيبار ونيبور عن عدد من هذه المدارس وما قامت به من فعاليات حيث جرى خزن العدد الكبير من الواح الطين المكتوبة باللغة المسمارية فيها. وكان التعليم في هذه المدارس يجري من قبل العديد من المعلميون من الكتّبة المتمرسين واستمرت بعملها خلال الفترة السومرية والحقبة الاكدية التي تخللتها حتى وصلت الى اعلى درجات الرقي والشهرة في الفترة البابلية القديمة. فلقد دُرسّت فيها طرق تحضير الالواح من الطين مع كافة العلوم الكتابية حتى التوصل الى امتلاك ناصية تلك العلوم واتقانها في منهاج توزع في أربعة حقول كان أولها أتقان مفردات اللغة السومرية ونحوها قراءةً وكتابةً وثانيها ألآداب بأنواعه ثم ألرياضيات والاعمال المساحية وأخيرا الموسيقى.
وعلى الرغم من أن اللغة الاكدية حلت محل السومرية لاحقا في اعمال التجارة والمخاطبات الدبلوماسية في الفترة البابلية القديمة إلا ان اللغة السومرية أحتفظت بمكانتها الرفيعة كلغة لتدريس الآداب والعلوم الدينية في المدارس خلال تلك الفترة والفترات اللاحقة على الرغم من ان اللغات الام لطلاب تلك المدارس كانت امورية واشورية مما اوجب على هؤلاء الطلاب دراسة اللغة السومرية عند دخولهم لهذه المدارس، وأدى ألى احتفاظ ألكتّبة ألمعلمون بالنصوص السومرية مادة للتدريس مع ترجماتها الاكدية حتى اندثار اللغة السومرية تماما [4].

كانت المدارس الأولى مرتبطة بالمعابد التي اخذت على عاتقها نشر التعليم واعداد الكتبة والمحاسبين ثم انفصلت عنها في وقت لاحق وأصبحت لها مباني خاصة بها، وتشهد على ذلك بقاياها المكتشفة في اور ونيبور وسيبار، ولم تُميز التنقيبات الاثارية للوهلة الأولى بكون تلك المباني هي عبارة عن مدارس لو لم يعّثر في قاعاتها على اعداد كبيرة من الواح الطين ذات الطابع التعليمي، اما عدا عن ذلك فلم تتميز هذه المباني كثيرا في الشكل والترتيب عن الدور الاعتيادية. ومن الأمثلة عن بعض ما تم كشفه مبنى لمدرسة في ماري الى الغرب من نيبور في شمال سوريا تميزت بطابع مدرسي واضح، فقد حوت على قاعتين احداهما ضمت صفوف من المقاعد المصنوعة من الاجر المفخور التي تتسع لجلوس تلميذا واحدا او اثنين او أربعة تلاميذ مما يشير الى انها كانت صفا مدرسيا، كما عُثر على اوعية خزفية كبيرة قد تكون استعملت لحفظ الطين الطري المستخدم من قبل التلاميذ لصنع الالواح بقصد كتابة دروسهم عليها.
ومن المحتمل أن قاعة المدرسة احتوت أيضا على أرفف وُضعت عليها الأعمال المنجزة لتجفيفها وكذلك خزائن للوازم المدرسية المتنوعة ولحفظ "الكتب المدرسية" ، كما أن من الأرجح ان يكون هناك فرنًا لخبز ألواح طينية مختارة من أجل منحها الديمومة وحفظها. وعلى أية حال فقد بدا من ألواضح وجود عدد

كبير من المدارس لأعداد وتأهيل الكتبة في الفترة السومرية وما تبعها خلال الفترة الانتقالية التي تلتها التي سبقت فترة بابل القديمة عندما بلغت الثقافة السومرية اوجها، فقد عُثر في تنقيبات مدينة اور على بناية لمدرسة صغيرة من فترة لارسا تعود لعام (1780) ق. م وكانت في الغالب نموذجا لباقي المدارس في تلك الفترة وهي لم تكن بالتأكيد مدرسة ابتدائية فحسب بل كانت لتعليم كافة الاعمار من التلاميذ ، ويبين (الشكل 1) مخططا للمدرسة آنفة الذكر ضمت على عدد من الصفوف ومرافق صحية وباحة وكانت تتسع لخمسة وعشرن تلميذا.

وبحسب عالم الاثار السير برنارد وولي فأن التلاميذ كانوا من الذكور حصرا فعلى الرغم من ثبوت جود كتبة إناث في ذلك ألوقت وإن عدد من أعمالهم قد تم اكتشافها فعلا إلا انه لم يصل الى علمنا أي شيْ عن تعليم البنات [5].



الشكل 1: مخطط لمدرسة سومرية من فترة لارسا (1780) ق. م [5].

النظام ألتعليمي واساليب التعليم في المدارس السومرية

كان نظام المدارس يشبه من نواح عديدة النظام في العائلة السومرية، فكما كان ألاب هو رأس العائلة فأن المدرسة كان تدار من مدير يسمى (أدّا إيدوبّا adda edubba) وتعني (أبو بيت الالواح)، و كما كانت العائلة تخضع الى سلطة عليا هي سلطة المجتمع كانت هناك سلطة عليا في المدرسة أيضا يمثلها ما يسمى (اومّيا ummia) وتعني الخبيراو المفتش في نظام التعليم الحالي. وكان التلاميذ يكنّون أنفسهم باسم "أبناء المدرسة" و يشرف على تلقينهم مباشرة تلاميذ أكبر سنًا يُطلق عليهم "الأخوة الكبار" يعملون كمساعدين

للمعلمين الأساتذة. ويقوم بالتدريس المعلمون الأساتذة المتخصصون في مختلف المجالات فمن بينهم مدرس الرياضيات او "كاتب العد" ، ومعلم المسح او "كاتب الحقل" ، ومعلم اللغة أي "كاتب السومرية". واستلم هؤلاء المعلمون رواتبهم من الرسوم الدراسية التي يدفعها الآباء الى المدرسة، ولم تكن تلك الرواتب عالية على وجه التحديد مما جعل البعض منهم يقبلون الهدايا من أولياء أمور الطلاب ولم يكن في ذلك ما يُعيبهم. ويعزز هذا الاعتقاد قصة طريفة تحكي عن اب لأحد الطلاب الكسالى الذي قام بناءً على مطالبة ابنه بدعوة معلم الصبي إلى منزله لتناول العشاء وقدم له هدايا فاخرة بما في ذلك خاتم ثمين وقد استجاب المعلم بأن قام بمدح الطالب امام والده بشكل مفرط والتعبير عن أمله في أن يتفوق على اقرانه في الصف ويصبح يومًا ما رجلاً ذا شأن عظيم، وسوف نتطرق الى هذا الموضوع بمزيد من التفصيل لاحقا .[6]

ومما نعرفه ألان عن الدراسة في المدارس السومرية أنها كانت طوعية وليست اجبارية وتبدأ بأعمار تراوحت بين الثمان والعشرة سنوات بينما استغرقت الدراسة فيها فترة طويلة استمرت لسنوات عديدة أمتدت "من وقت الطفولة حتى مرحلة الشباب " قبل أن يصبح التلميذ كامل التأهيل .غير أن الفتى قد يتمكّن بعد حوالي العامين لكي يُصبح " دوب تور dubsar tur’’ وهو الكاتب المبتدئ الذي يمكن تكليفه عندئذ بالمساعدة في تعليم تلميذ أخر أصغر منه بتحديد واجباته البيتية والاشارة عليه بأفضل الطرق للسير بها. وكان من واجب التلميذ ان يتفرغ تماما للدراسة في المدرسة يوميا ثم يعد واجباته البيتية في المنزل وأن يكون متأهبا في اليوم التالي لتقديم تلك الواجبات الى معلمه من دون أغلاط واخطاء وإلا قد يتعرض للقصاص بالضرب بالخيزرانة أذا ما استحق ذلك. أما الدوام اليومي فكان يمتد عادة من شروق الشمس حتى الغروب ويتناول التلاميذ وجبة الغداء في المدرسة، وتستمر الدراسة لمدة أربعة وعشرون يوما في الشهر مع تمتع الطلاب خلال ذلك بثلاثة أيام من العطلات العادية إضافة الى ثلاثة أيام أخرى للعطلات في المناسبات الدينية ولم ترد معلومات بشأن استمرارية الدوام على مدار السنة ام لا.

لقد كان تلاميذ ألمدارس في العادة من أبناء العائلات الثرية والبارزة لأن التعليم كان خصوصيا ومدفوع الأجر من الاباء وباهظ التكلفة. وبناءً على ذلك فإن كافة طلبة المدارس كانوا في ألعادة من أبناء المسؤولين الحكوميين والضباط العسكريين والكهنة والكتبة ورجال الأعمال الأثرياء. ومع ذلك كان هناك رواية عن قيام أحد المحسنين بتبني طفل منبوذ و" أنقاذه من بين فكي كلب" فتوج اعماله بأرسال الفتى الى المدرسة "ليُتقن فن الكتابة .....". وهو تماما ما نصّت عليه تلك الرواية. وباستثناء بنات العائلة المالكة أو الفتيات اللواتي يتم إعدادهن ليكونن كاهنات المستقبل فأن كافة التلاميذ كانوا من الذكور فقط كما أسلفنا .[7]

وإذا ما قمنا بالتدقيق في طرق التدريس في المدارس السومرية لا يمكن وصف أسلوب التعليم بأنه كان متقدما خصوصا في المراحل الأولية فقد اعتمد على التدريب في التكرار والحفظ عن ظهر قلب الى حد بعيد، لذا كان على التلميذ المبتدئ ان يبدأ بتمارين مقطعية أولية مثل (تا - تي ، نو- نا- ني ، زو - زا - زي) تُذّكرنا بالمرحوم ساطع الحصري وقراءته الخلدونية التي درسناها في الصف الأول الابتدائي.
يعقب ذلك دراسة وحفظ وتهجية قائمة بما يقرب من تسعمائة من الرموز الهجائية التي كان مزيجها يُكّون الكلمات المختلفة ، ويتبع هذا حفظ الاف الكلمات والعبارات مرتبة حسب معانيها. ففي "علوم الطبيعة" كانت هناك قوائم بأجزاء جسم الأنسان والحيوان وأسماء الحيوانات الأليفة والمتوحشة والطيور والاسماك وكذلك أسماء الأشجار والنباتات والصخور والنجوم. وفي "الأمور الحياتية" كان هناك أيضا قوائم بأسماء الأشياء منها ما يتعلق بالأخشاب والمواد الأخرى التي حوت على ما يقرب من ألف وخمسمائة فقرة تراوحت بين أسماء اخشاب ألأشجار و القوارب وعربات الحرب ومواد صُنعت من القصب والجلود والمعادن ناهيك عن أنواع الفخاريات والملابس والطعام والمشروبات. اما في موضوع "الجغرافيا" فقد تكونت المادة التدريسية من قوائم بأسماء البلدان والمدن والقرى والأنهر وجداول المياه وأسماء المزارع والحقول. ويضاف الى كل هذا الكم الكبير من المعلومات قائمة طويلة من التعبيرات المتداولة المستخدمة في الشؤون الإدارية والمستندات القانونية بالإضافة الى قائمة أخرى تخصصت بذكر ما لا يقل عن ثمانمائة مهنة وعلاقات القرابة والتشوهات في جسم الانسان. لذلك وحالما يصبح التلميذ متمكنا بصورة كافية من كتابة المفردات السومرية المعقدة فعندئذ يمكنه المباشرة بنسخ واستذكار الجمل القصيرة والامثال والقصص الموجزة والاشعار أضافة الى نماذج مقررة من صيغ العقود التي كانت على قدر كبير من الأهمية في صياغة وتحرير العقود القانونية التي لعبت دورا كبيرا ومهما في حياة المجتمع السومري. ولم تكن "العلوم الرياضية" بعيدة عن المقررات الدراسية هذه حيث تلقى التلميذ تعليمه في دراسة ونسخ جداول وحدات قياس الاوزان والحجوم والاطوال والمساحات أضافة ألى جداول ضرب الاعداد وجداول مقلوباتها لأغراض الحساب. أما في المراحل ألدراسية المتقدمة فيجب على الطالب حل مسائل تطبيقية تتعلق بحسابات الأجور وحساب كميات الحفريات للقنوات والجداول واعمال البناء وغيرها مما أحتاجه ألسومريون في ألتعاملات أليومية. ويمكن للقارئ تصور ألخدمة ألعظيمة ألتي قدمتها هذه النصوص المدرسية للباحثين وعلماء الاثار في فهم وترجمة النصوص المسمارية المختلفة نظرا للكم الهائل من الأسماء وباقي المفردات التي أحتوت عليها تلك النصوص.

ويمكن تسمية الهدف الأساسي من المدارس السومرية بأنه كان ‘‘مهنيا" أي تدريب وتخريج الكتبة ألمؤهلين الذي اطلق عليهم في أوائل الفترة السومرية تسمية "اومبيساك *Umbisag* " اما التسمية التي أصبحت لاحقا ألاكثر رواجا فهي باللغة السومرية "دوبسار *dubsar*" وباللغة الاكدية ‘‘توبشارو

tupšarru '' ومعناها الشخص الذي يكتب على الالواح. فكان هناك كتبة "مبتدئون" و كتبة "متقدمون" وهم جميعا من سوف يكونون قادرين على خدمة المجتمع من خلال أخذ مكانتهم في المعابد مسؤلوون عن الطقوس والتراث الديني واداريون رفيعي المستوى كأمناء سر خاصين في المراتب العليا للبيروقراطية الملكية اوموظفو محاكم او في عالم التجارة والاعمال، ويصبح البعض منهم كتبة محترفون يخدمون الاحتياجات العملية للآخرين مما يمكن تشبيههم "بكُتّاب ألعرائض" في وقتنا الحالي، لكن آخرين منهم سيتبعون بألتأكيد مهن آبائهم كمسؤولين حكوميين أو رجال أعمال[8].

وتجدر الإشارة ألى أن من تخصص بالعلوم الدينية من التلاميذ فأنه يخدم لاحقا في سلك ألكتبة (ألكهنة) في المعابد وقد ضمت هذه المهنة في صفوفها متعلمون في غاية ألحرص وألكتمان ولايمكن مطلقا لسلطتين رئيسيتين هما سلطة الآلهة وسلطة ألملك، وصوروا انفسهم على انهم قد منحوا تفويضا إلآهيا في إدارة العالم المنظور كما أنهم تفاخروا بقدرتهم على تقديم المشورة للحكام وهي ما أطلقوا عليه باللغة ألسومرية كلمة " نادِيگا nadiga" وباللغة الاكدية كلمة "ماشارتو mãšartu"، ولا يفوتنا هنا من ان ننبه للشبه بين كلمتي "ماشارتو" في الاكدية و"المشورة" في العربية . وعليه فعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من الكهنة كانوا في غاية التدين وكانوا في ذات الوقت افرادا اعتياديين.

وهكذا بقيت المدارس السومرية تعمل على تدريب وتخريج الكتبة طوال أيام هذه الحضارة، إلا ان تطور ونمو هذه المدارس وخاصة نتيجة للتوسع في مناهجها جعلها مراكز للثقافة والعلوم أيضا. لذا فقد ضمت بين جدرانها "ألعلامّة" المتخصص بالفقه الديني او بعلوم النبات والحيوان او الجغرافيا او الرياضيات الذي إضافة الى عمله في التعليم عمل على الاستزادة من ذلك العلم. ونتيجة لذلك أصبحت المدارس مراكز للدراسات المختلفة والكتابات الأدبية الإبداعية فجرى استنساخ ودراسة ما كُتب منها سابقا وتم انجاز العديد منها لاحقا. وكما هو الحال ألان بالنسبة لأساتذة الجامعات اليوم فأن العديد من هؤلاء العلماء خصصوا جزءا كبيرا من وقتهم للبحث والكتابة إضافة لممارستهم التعليم .
وبصورة عامة فقد نظر السومريون للمدارس بالشيء الكثير من الاحترام واعتبروا أنها تعمل لأناره ألعقول وفتح العيون على حقائق الحياة، وهناك أشاره ألى هذا الامر في احجية مبهمة وضعها أستاذ سومري مبدع وقد عُثر عليها في أور مكتوبة على لوح مدرسي بعنوان (احزر ماهي....) وتُقرأ كما في (الشكل 2) :

é an-gin$_x$ uru$_4$ gar-ra

é dub-pisan-gin$_x$ gada
mu-un-dul
é uz-gin$_x$ ki-gal-la gub-ba

igi nu-bad ba-an-ku$_4$

igi-bad ba-an-ta-è

ki-búr-bi é-dub-ba-a

الشكل 2: أحجية سومرية عن المدرسة مترجمة بحسب اللغة السومرية الناطقة [9].

وتترجم :

بيت له اساسات مثل الجنة....

بيت مثل وعاء وقد غُطي بقطعة كتان ......

مثل وزة تقف على قاعدة صلبة.....

دخلها من كانت عيونه مغلقة .....

خرج منها وعيونه مفتوحة ؟

(الحل: هي المدرسة) ... [9].

ويعلق العالم صموئيل نوح كريمر على هذه الاحجية مبينا أنه وبالرغم من غموضها بعض الشيْء إلا ان السطرين الأخيرين منها يلخصان بأعجاز ووضوح الهدف من المدرسة ألا وهو تحويل الفرد الجاهل الأمي ألى رجلا من رجال الحكمة والعلم.

وفي تفاصيل الأسلوب المتبع في التعليم يتم تلقين ألمبتدئين أولا الرموز المسمارية الأساسية وإعادة كتابتها على ألواح من الطين بمساعدة "قلم" مصنوع من القصب غير حاد الأطراف (يراع) . كما يجري ارشادهم في طريقة تحضير الألواح الطينية الفارغة للكتابة عليها وذلك بخلط الطين وتشكيله وتنعيمه بالإضافة إلى تعليمهم طريقة خبز الألواح المكتوبة لإعطائها الديمومة اللازمة.

ويستغرق إتقان الكتابة المسمارية سنوات عديدة بسبب تعقيد الرموز والنصوص. ولم يكن من السهل الوصول الى الدرجة الكافية من المهارة في وقت قصيرحيث تطلب الامر عشرات الساعات تلو العشرات من التدريب المكثف والمتخصص للتمرس في خط الرموز الكتابية والمزيج من تلك الرموز المستخدمة في الكتابة المسمارية بسبب دقة هذه الرموز واحتمال حدوث الخلط بينها. وتطلب التدريب فيما تطلب

أيضا تطوير أسلوب الخط بشكل متقن والوصول الى الدرجة الكافية من الدقة بعد الجهد الجهيد وشق الانفس . فكانت الأهداف المتوخاة من التعليم تنمية القدرة على القراءة والكتابة لأنجاز مهام مثل تدوين حسابات الأعمال ألتجارية وقراءة العقود والرسائل وكتابتها وإنجاز المخاطبات العسكرية وتلاوات الصلوات والتعاويذ وفهم النصوص الطبية بالإضافة إلى التمكن من اجراء الحسابات التي احتاجتها اعمال قياسات ومسوحات الأراضي وتقدير كميات الحاصلات وتحديد الضرائب، ناهيك عن تخمين مقادير الإمدادات والتجهيزات للحملات العسكرية اوحساب كمية الاتربة اللازمة لبناء استحكامات الحصار او تقدير كميات اللِبِن والآجر المطلوب لبناء قصر جديد، أو حتى القيام بالحسابات الفلكية.

وفي الخلاصة فقد كان من المطلوب إتقان المفردات المتخصصة في مجالات مثل علوم ألحساب والفلك والجغرافيا والمعادن وعلم الحيوان وعلم النبات والطب والهندسة المعمارية والبناء، ناهيك عن المناهج المتخصصة بالدراسات الأدبية والابداعية التي تضمنت دراسة ونسخ وتقليد الكم الكبير من المقالات الأدبية والاعمال الشعرية من ملاحم ورثائيات وتراتيل وغيرها من الفنون الجميلة.

وفوق هذا وذاك ما أن أحكم الأكديون سيطرتهم على بلاد سومر في الربع الأخير من الالفية الثالثة قبل الميلاد حتى أصبح التعليم لا يقتصر على إتقان لغة واحدة بل لغتين: السومرية غير السامية والأكدية السامية مما حتّم على العديد من الكتبة من ذوي الاختصاص القيام بأعداد معاجم باللغتين هي أمثلة على أقدم معاجم التي عرفتها ألبشرية. ولم يقتصر قيام الأكديون باقتباس الخط المسماري فحسب بل أنهم ثمنوا عاليا ألترات الأدبي السومري الذين درسوه وأخذوا منه وعملوا على نشره، وفي (الشكل 3) اقتباسات من أحد تلك المعاجم [10].

أن اللغة السومرية وعلى الرغم من أنها أصبحت في نهاية المطاف لغة ميتة وليست للاستعمال اليومي حالها حال اللاتينية فقد استمرت دراستها بجد من قبل الطلاب المتقدمين في دراسة الأعمال الفنية لأدأب السومريين والاكديين وذلك بسبب احتفاظها بكنوز فكرية ثرية، وبالتالي واستنادا الى المهن التي مارسوها فقد واصل هؤلاء هذه الدراسة خلال حياتهم المهنية ككهنة أو علماء على عكس ما آل اليه حال اللغة اللاتينية لاحقًا في أوروبا خلال القرون الوسطى وعصر النهضة وحتى الوقت الحاضر.

Sumerian	Sign	Akkadian Translation	Meaning
il-ar		ti-il-pa-nu	throwing stick
ta-al		ru-up-šum	width
na-gá		e-si-tum	mortar
ga-az		pa-ḫa-su-um	to break into pieces
"		da-a-ku-um	to kill
nin-da		mi-i-rum	bull
"		pa-ar-si-ik-tum	a measure
"		it-tu-ú-um	funnel of a seed-plow

الشكل 3: مقتبسات من أحد المعاجم السومرية – الأكدية [10].

كان التكرار والاعادة جنبا الى جنب مع تصحيح اخطاء التلاميذ هي السمات الأساسية للتعليم في المدارس السومرية. يبدأ المعلم عادة بكتابة جملة في اعلى أحد الالواح او في الجانب الايسر منه ويتوقع من التلميذ ان ينسخ تلك الجملة مرارا في الأسفل او الى اليمين منها، ثم يقوم المعلم او مساعده "الأخ الكبير" بإجراء التصحيحات، ويتطلب من التلميذ بعد ذلك مراجعة عمله المصحح في المنزل ومن المتوقع إعادة كتابة نفس العمل في اليوم التالي ولكن هذه المرة من دون أخطاء ليتبع ذلك المباشرة بدرس جديد. ولحسن الحظ فأن من بين ما وصل الينا من الواح امثلة ليست من الدروس المكتوبة بصورة نهائية فحسب بل هناك أيضا بعض منها تظهر فيها تصحيحات المعلمين او شطبهم وتقييمهم لها، ومما وجد أيضا كان هناك أمثلة تدل على سخط المعلم وشطبه عمل لطالب محبط !

تضمنت الأساليب الأخرى في التعلم استذكار الدروس وإعادة تلاوتها للتأكد من قدرة التلميذ ليس فقط على نسخ الأحرف ولكن أيضًا على فهم معناها. ويراعى في الدروس الأكثر تقدما قراءة وكتابة نصوص أكثر طولا أو حسابات رياضية موسعة ربما تستند إلى مسائل من الحياة اليومية. وطوال الوقت يتم التأكيد على حفظ المفردات الجديدة وطرق الحساب في حين يتم تعزيز الانضباط الذاتي الفكري من خلال الحفاظ على مدونة صارمة للسلوك داخل الصفوف الدراسية. ويلاحظ في ذات الوقت قيام المعلمون بشرح المادة بألقاء المحاضرات في أوقات مناسبة بينما تُجري اختبارات على فترات معقولة بما في ذلك الامتحانات الشاملة. ولقد كانت المدارس غالبا ما تحوي على قاعة واحدة للدراسة لذا فقد يصادف كثيرا ان يكون التلاميذ خليط من مراحل دراسية مختلفة وهم يمارسون الدراسة في وقت واحد فكان هذا سببا إضافيا لتواجد "أخ كبير"

يراقب دائما ما يقوم به اولئك التلاميذ الأقل سنا. ويمكن ملاحظة بأن النظام التعليمي كثيرا ما أدخل طرق لتخفيف الملل والسأم اللذين قد يشعر بهما التلاميذ في المراحل المتقدمة خاصة نتيجة للعمل الشاق الذي تتخلله دراستهم فيصار الى أقامة حلقات نقاشية او مناظرات يتسم بعضها بالفكاهة والسخرية والمرح، فيتجادل فيها على سبيل المثال تلميذ مع أخ كبير حول من هو أكثر ذكاءا، أو يشتكي ألاب من تصرفات أبنه ألعاق. كل هذا جعل الذهاب الى المدرسة والانخراط بالعملية التعليمية وحتى العمل الشاق الذي تضمنته الدراسة امتيازا حقيقيا له هدف تربوي كبير.

ويعزز المعلومات التي وردتنا عن نظام التعليم السومري أحد الألواح ألطينية الذي يوثق يوم كامل في حياة تلميذ سومري خلال دراسته في المدرسة ويعود في تأريخه ألى حوالي (2000) عام قبل الميلاد وقد اثار هذا اللوح الاهتمام الواسع لدى علماء الاثار الذين جمعوا نصه الكامل على مدار 40 عامًا (من 1909 إلى 1949) باستخدام 21 لوحًا وشظية تم التنقيب عنها في أماكن مختلفة من مواقع المدن السومري. وجاء الجزء الأكبر منه ألمبين في (الشكل 4) من مدينة نيبور [11].

وقد أطلق هؤلاء العلماء على النص الوارد في هذا اللوح عنوان (أيام المدرسة السومرية ، أيديوبا- يوميات أحد الكتبة *Sumerian School Days*, *Edubba A*, and *Diary of a Scribe*).

ويشرح النص بأسهاب كيف يتدرب أحد التلاميذ على نسخ المعلومات على الالواح وحفظها ثم تلاوتها على مسامع مدير المدرسة "أبو المدرسة" أو غيره من المعلمين والمراقبين من "الاخوة الكبار" في المدرسة. كما يصف بعد ذلك كيف يتعرض خلال ذلك للضرب بالعصا مرارًا وتكرارًا من قبل معلميه عند فشله في حفظ دروسه أو عند ارتكابه لمخالفة ما. ولا يفوت على هذا التلميذ أن يشرح كيف أقنع والده مرة كي يدعو مدير المدرسة إلى منزلهما ويقدم النبيذ والطعام والهدايا له ويبدو أن هذا العمل أفلح في تحقيق ما أراده ذلك التلميذ ففي نهاية العشاء امتدح مدير المدرسة الشاب ووجه دعاء في صلاة خاصة الى ألألهة "ندابا Nidaba " الهة الكتابة السومرية وتوقع بأنه سيصبح الطالب الأول في المدرسة. والطريف في ألامرأن العالم الآثاري صموئيل نوح كرايمر الذي قام بترجمة النص من السومرية يعلق على هذا الإمر ويقول عنه ، بأنه "أول حالة مسجلة لـ (" تلميع التفاح " في تاريخ الإنسان) ويقصد هنا الرشوة وهذا ما نسميه باللهجة العراقية الدارجة (دَهْن السير) وهي حالة لتلميذ كسول أراد ان يقنع استاذه بأن يساعده وقد يكون أفلح في ذلك.



الشكل 4: لوح طيني من نيبور من حوالي 2000 عام ق.م يوثق يوم كامل في حياة تلميذ سومري خلال دراسته في المدرسة [11].

وفي أية حال ومهما كان الهدف الأصلي من كتابة هذا الانشاء فقد أصبح في ذلك الحين جزءا من المقررات الدراسية في مدارس الكتبة السومريين، ويشار الى انتشاره الواسع العدد الكبير الذي استُنسخ منه فلقد تم استذكاره بأعتبار أنه من أصعب النصوص التي على التلميذ ان يجيدها قبل ألتخرج. هذا وسوف نعود مرة أخرى للكلام عن هذا اللوح لاحقا ويمكن للقارئ الكريم ان يرجع ألى ألمصادر [12] [13] [14] لقراءة النص الكامل له.

ولم يكن التخرج من المدرسة السومرية بالأمر السهل بأي حال من ألاحوال فقد كان على الطالب الذي انهى منهاجه الدراسي ان ينجح في الامتحان النهائي الذي يجرى له في فناء المدرسة من قبل احد ألكتبة المعلمين المخضرمين من ذوي العلم والمعرفة. وكان هذا يتم امام هيئة من كبار ألكتبة ألاساتذه ويُتوقع من الطالب أن يجيب على ألاسئلة ألموجهة له بالصورة ألصحيحة للتعرف على مستواه العام ليس إلا.
ومن ترجمة احد النصوص السومرية من فترة بابل القديمة ألذي كان يحمل عنوان "نص للأمتحان " يمكن معرفة الكثير من التفاصيل عن ما كان يدور في مثل تلك الامتحانات.
يبدأ النص بقول ألممتحن للطالب :
" تعال يأبني ...إجلس عند قدمي ولسوف أتحدث معك وسوف تعطيني معلومات! منذ صباك وحتى بلوغك

سن ألرشد.... حدثني عن ما قمت به هنا في "بيت ألالواح"...، فهل تعلمت فن ألكتابة؟ ....
فيبادره الطالب قائلا:

ألطالب: أسألني ...هل هناك ما لم أتعلمه؟ أسألني وسوف أعطيك ألجواب

ألممتحن : لا .... سوف لن تفعل

ألطالب: و لماذا لن أُجيب ؟....

وهنا يسأل الممتحن ما يقرب من ستة عشر سؤال أولها يبدأ بالأستفهام عن طرق أستخدام قصبة ألكتابة ولنسمها "أليراع" وهو العنصر الأساس في الكتابة المسمارية. بعدها يسترسل بألأسئلة وتلقي ألاجابات. ومنها ما تضمن المعرفة بقوائم الحروف الهجائية ومعاني كلمات سومرية صعبة تقبل التأويل، والترجمة من السومرية الى ألأكدية وبالعكس مع ذكر ثلاثة مرادفات بالأكدية لكلمات سومرية منها أثنتان مبهمتان، يضاف الى ذلك قواعد النحو السومري ومصطلحاته وتصريف الأفعال، وعدم اغفال أتقان أنواع مختلفة من ألخط وألكتابة ألفنية وطرق ألتهجي بما في ذلك أتقان الحركات الصوتية. و من المتوقع أن يفهم الطالب المفردات والمصطلحات المتداولة بين ألكهنة وذوي ألمهن من صاغة الفضة وصانعي الجواهر والرعاة والكتبة وما الى ذلك فتم سؤاله فيها، وفوق هذا وذلك كان عليه أن يكون متقِنا لصنع ألواح الطين وغلافات حفظها، ناهيك عن المقدرة على عزف ألآلات ألموسيقية ألمختلفة وقيادة جوقة الموسيقى او المنشدين وغناء ألأغاني بجميع اشكالها. وفي ألحساب عليه أن يُلمُ بالقسمة وطرق مسح الحقول وتقسيمها وتوزيع الارزاق.

عند الوصول الى هذا الحد قد يستسلم الطالب مدعيا أنه لم يُدَرس كل هذه المواد سواءا من ألكتبة المعلمين ولا من "ألاخوة ألكبار"، مما يحدو بألممتحن أن يُقَرع ألطالب قائلا له:

"ماذا فعلتَ بحالك كل هذا الوقت.. وأي امر فيه نفع جنيته من جلوسك هنا ؟ ... رجل ناضج ألان أنت وقريبا ما سوف تكهلُ! مثل حمار عجوز سوف لن تتعلم ... مثل سنبلة ذابلة فات موسمها ستبقى... ألى أي حين ستظل تلعب وتتلهى فيما حولك ؟ ....لكن مهلا الوقت لم يفت بعدّ .... اذا ما درست بالليل وبالنهار... وقمت بعملك بتواضع ومن دون عنجهية ....واذا ما أنصَتَّ ألى أقرانك ومعلميك....فلآيزال بأمكانك أن تصبح من ألكتبةّ ! ....و يكون بمقدورك المشاركة في صنعة ألكتبة حينذاك ...وهي ثروة لِمن يمتلكها ! ...عسى ملاك صالح يهبك عيون لامعة وهي ما يحتاجه منك حتى قصر الملك [15].

قواعد السلوك والانضباط في المدارس السومرية

كان الانضباط صارمًا في المدارس السومرية ويشرف على تطبيقه مسؤول اداري يقوم بمعاقبة التلاميذ المشاغبين بضربهم بالعصا. فكان هناك عقوبات تفرض عند التحدث دون إذن، والوقوف دون إذن،

والمغادرة دون إذن، او ارتداء الملابس غير اللائقة، وعدم التحدث باللغة السومرية المناسبة. وعلاوة على ذلك ، كان المتوقع أن يتبع هؤلاء قواعد السلوك التي وضعها مدير المدرسة أو "ابو المدرسة" التي كانت تُشجع على الانضباط الشخصي وحسن التصرف وحفظ النظام العام. أما أذا خرق التلميذ أيًا من هذه القواعد فعندئذ يتعرض للضرب كما قلنا، وهو ما يعني على الأرجح الضرب على المؤخرة والساقين بعصا غليظة مما يعني عقوبة جسدية موجعة. ويضاف الى كل ذلك إذا ما فشل التلميذ في أداء أي من فروضه الدراسية بصورة صحيحة فأنه يتعرض للقصاص أيضا وربما يتم حبسه لفترة طويلة حتى ينجز ما طُلب منه. وهناك أشارات من العصر البابلي الجديد تشير الى كثير من التلاميذ الذين اضطروا إلى كتابة "خمسين سطراً" أو "مئة سطر" أضافيا في مثل هذا القصاص مما يذّكِرنا بنفس الامر الذي كان يصيبنا أذا ما أخطئنا في درس "الأملاء" في دراستنا الأولية للغة العربية. ولم يكن هذا ليمنع من استخدام العصا بحرية من قبل المعلمين و"الاخوة الكبار" على حد سواء. وهذا واضح جدا في مقال "أيام المدرسة السومرية " آنفة الذكر، والتي نقدم المزيد من مقتطفاتها فيما يلي:

"- ماذا فعلت اليوم في المدرسة؟

حفظت المكتوب في لوحي.... تناولت غدائي....صنعت لنفسي لوحا جديدا....كتبت عليه وأنجزت كتابتي، ثم كلفوني بواجبي الشفهي..... وفي فترة ما بعد الظهر كلفوني بواجبي التحريري..... عندما انتهى وقت المدرسة عدت للبيت..... ووجدت أبي جالسا هناك.... أخبرت أبي عن عملي المكتوب ثم تليت على مسامعه محتوى لوحي.....وكان أبي سعيدًا ".

مما تقدم يجب أن يكون هذا يومًا محظوظًا في حياة هذا التلميذ، لكن في الغد كان الصبي أقل حظًا حيث نعلم مما يقوله في المقالة ما يلي:

"عندما استيقظت في الصباح الباكر واجهت والدتي وقلت لها..." أعطني غدائي، أريد أن أذهب إلى المدرسة ".... أعطتني والدتي لفافتين فانطلقت..... في المدرسة، قال لي "المعلم المناوب"... "لماذا تأخرت؟"... دخلت أمام أستاذي وانحنيت خائفًا وقلبي ينبض..... لكن المعلم كان يصحح الواح التلاميذ لليوم السابق ولم يكن مسرورًا بها، فضربني بالعصا ..... ثم قام المشرف المسؤول عن لائحة السلوك بجلدي بالخيزرانة...(الأسباب) "لأنك كنت تحدق بنظرك وتتلفت في الشارع".... ومرة أخرى "لأنك لم تكن مرتديا ملابس مناسبة" ..... وقام معلمون آخرون بضربه بالعصا بسبب جنح مثل الكلام، الوقوف عندما لم يكن دوره التوقف عند مغادرة البوابة. ...... وأخيراً قال له مدير المدرسة ، "خط يدك غير مرضٍ" وأعطاه مزيدًا من الضرب".

بعد ذلك يناشد الشاب غير المحظوظ والده أن يحاول من تلطيف العقوبات هذه بالطريقة المناسبة، لذلك يدعو الأب مدير المدرسة ألى منزله ويمتدحه على ما يبذله لتعليم ابنه، ويقدم له الطعام والنبيذ، ويلبسه ثوبًا جديدًا ويضع خاتمًا ثمينا في إصبعه ويقوم التلميذ على خدمته، وبينما يعرض ما تعلمه من فن الكتابة

على اللوح امام والده .فأن المدير ألمنشرح يهتف بحماس:
"من بين زملائك ... قد تكون قائدهم ... ومن أصدقائك... قد تكون رئيسهم ... وأتمنى أن تكون في المرتبة الأعلى من تلاميذ المدارس... لقد نفذت متطلبات المدرسة بشكل جيد... وأصبحت رجلًا متعلمًا .
أما التلميذ وقد تملكه ألفرح فيدعي لنفسه الان بكل فخر واعتزاز لقب "السومري".
لذا على الرغم من الصورة الساخرة التي تقدمها لنا هذه المقالة إلا أنها في نفس الوقت تلقي الضوء على الانضباط ومدونة السلوك المطلوب اتباعها في المدرسة وفي نفس الوقت تعطينا فكرة من ان مدير المدرسة لم يجد غضاضة من قبول الدعوة والهدايا وربما كان هذا سياقا معمول به حيث لم يكن في الأجور المدفوعة للمعلمين عامة ما يفيض عن احتياجاتهم المعيشية. ومع ذلك فإن المدارس في بلاد سومر قدمت تعليمًا سليمًا وزادت من الاحترام للتعليم على هذا النحو[16].

التراث السومري في التعليم

لقد كان للتعليم في سومر هدفًا أوسع وأعمق من مجرد خدمة ألاغراض المهنية فحسب. فقد تأسس نظام المدارس في بلاد ما بين النهرين على مبدأ هو عدم إمكان أية حضارة أن تزدهر أو تدوم طويلاً ما لم تعتمد على حكمة وخبرة الماضي مهما كان ذلك الماضي يبدو ميتا. ولأن هذه الحكمة والخبرة كانت مكرسة في الكتابة ، فلا يمكن الاستفادة منها إلا من خلال أداوات القراءة والكتابة، وعلاوة على ذلك لا يمكن نقل رؤى وإنجازات الماضي والحاضر إلى المستقبل إلا من خلالهما . وباختصار أدرك السومريون أن الحضارة في صميمها هي سلسلة حيوية متصلة يرتبط فيها الماضي مع الحاضر والمستقبل ارتباطًا عضويًا متينا. فإذا توقفت ثقافة ما عن القراءة والكتابة ولم تعد قادرة على سماع كلمات الماضي في الحكمة أو التحدث بها إلى المستقبل فإن هذه السلسلة تنكسر بشكل لا رجعة فيه. وقد يكون من جوانب العملية التعليمية السومرية انها شددت على الاستذكار والحفظ بدلا من الابداع، وفضلت الاجماع على الفردية، والتعلم عن ظهر قلب بدلا من الاختراع، إلا ان الديمومة والاستمرارية المذهلة لهذه العملية بينت أنه بألرغم من نقاط الضعف هذه فقد كانت تمتلك قوة دائمة ومتجددة.
سعى نظام التعليم السومري على الرغم من عدم التوسع الظاهر في المناهج وطرق التدريس، إلى ما يجب أن نطلق عليه لعدم وجود عبارة أفضل "تنمية المعاني والقيم الإنسانية"، فيظهر هذا الهدف واضحا لأول مرة في تاريخ البشرية في النصوص السومرية خاصة تلك النصوص التي تتناول على وجه التحديد أهداف التعليم.، فيقول الطالب لمعلمه:
"كُنتُ مثل جرو صغيرحتى قُمتَ بفتح عيني، لقد غرستَ الإنسانية بداخلي".
ويكتب كاتب سومري محبط إلى ابنه:

"لأنك لم تحترم إنسانيتك، تحطم قلبي".

لذلك من خلال استذكار الماضي، ومن خلال احترام التعلم و الممارسة المستمرة للانضباط الذاتي، ومن خلال الالتزام الأساسي بخدمة قيم أعلى من خدمة الذات ، سعى السومريون للوصول إلى أعلى هدف للتعليم :ألا وهو "تعزيز الادراك الشري والسلوك الإنساني".

لذا تكشف العديد من النصوص السومرية التي جاءت بشكل حوارات تعليمية بين معلم وتلميذ او بين تلميذ واخر والتي دُرست في ألمدارس ألسومرية عن روحية واخلاق هذه المؤسسة الراقية في هذا العصر ألذهبي التي أطلق عليها البروفسور اوبنهايم بحق عبارة "معجزة ميسوبوتاميا". فيمكن والحالة هذه اعتبارها متقدمة عن كل ما سبقها وربما مالحقها من فترات التاريخ تقديرا لتراثها الغني بأفكارها وبتصوراتها وبمدارسها.

أن مؤسسة ألتعليم ألسومرية واولى عناصرها ماكان يدعى بيت الالواح "الإيدوبّا *edubba*" ضمت ألنخبة ألالمتنورة في ألمجتمع ألسومري وعّرّف منتسبيها "كبارا وصغارا" انفسهم للعالم المحيط بهم بصفة "ألابناء" بينما نادوا بعضهم بعضا بصفة "الزملاء"، (في ألسومرية "جي.مي .أ .أس *gi.me.a.as*" وبالاكدية "كناتو *kinãtu*") وكان المعلم هو "الاب" ومعاونه هو "الأخ الكبير". لذلك كان بيت ألالواح حسب قول عالم الاشوريات "لاندزبرگر Landsberger" هو المدرسة والمجلس وكانت تسمية "ألابن" هي اللقب الفخري لأفراد هذه الطبقة.

لذلك يمكن القول بأنه لم يكن هناك أية مؤسسة تعليمية أخرى ساهمت فعلا في الحفاظ على تراث الماضي مثل مافعلت مدارس "بيت ألالواح" من خلال نقل وايصال الميراث الروحي من جيل الى جيل. واصدق مثال على هذا الامرالنصوص المدرسية ألتي عُثرعليها في أثار مدينة "فارا" من حوالي (2400) ق.م، فقد أكتشف البروفسور جاكوبسون نص بعنوان " مقال ألحكمة" بقي قيد الاستعمال في التدريس وانتقل حتى فترة بابل القديمة في حوالي (1720) ق.م أي أقل من سبعمئة سنة بقليل[17].

وبالاضافة الى البعد الزمني الذي أخذته هذه المؤسسة العريقة فقد أخذت بعدا جغرافيا أيضا ولم يقتصر تأثيرها على بلاد سومر واكد فمن الأدلة ألاثارية المبعثرة التي حصل عليها علماء الاثار يبدو من الواضح بأن النظام والتقليد المدرسي السومري كان قد أخذا شكلا واحدا في جميع مدن سومر. وتشير النصوص التعليمية وخاصة المعجمية منها تطابقا في مدن فارا وأبو صليبيخ واوروك ونيبور والمناطق المجاورة ولايكاد يظهرفي مابينها اختلافات تذكر على الاطلاق. وتقدم الألواح نّصية مكتشفة في مدينة سوسة دليلاً على انتشار التعليم من مدن ميسوبوتاميا إلى إيران شرقا. كما أن ما كشفت عنه البعثة الإيطالية في عام 1978 من أرشيفات بحالة جيدة لعصرالأسر المبكرة (رقم 322-328) في مدينة إبْلا السورية في موقع تل مرديخ الحالي يوضح على الفور أن الكتابة المسمارية قد إنتقلت إلى الغرب أيضًا.

و ظهرت منذ ذلك الحين مواد مماثلة في مدن أخرى في المنطقة. ولقد حوى أرشيف إبْلا الرئيسي ـأذي عُثر عليه بجوار غرفة العرش في القصر الملكي المهيب على مجموعة كبيرة من الألواح الأرشيفية المكتوبة بثلاث لغات على الأقل (السومرية والأكدية ولغة إبْلا) [18].

وحوت تلك الارشيفات إضافة الى الحسابات القصيرة والطويلة الأجل والرسائل والمعاهدات والتعاويذ والطقوس وكذلك على المواد الأدبية مثل الترانيم والأساطير الإلهية والقوائم المعجمية والتمارين المدرسية المختلفة أيضا. ومن بين النصوص المدرسية نجد نسخًا مكررة من قوائم لنفس المواضيع التي وجدت في أبو صلبيخ بالإضافة إلى نصوص مماثلة تم اعدادها محليا لمساعدة الكتبة على إتقان إستخدام الكتابة المسمارية السومرية في كتابة لغة إبْلا السامية التي كانت تستخدم في الرسائل والطقوس والسحر والنصوص الادارية. ولم يقتصر التراث التعليمي ألسومري الذي عُثر عليه في إبْلا على النصوص المعجمية والقصائد والتمارين بل على التراث الشعري الاكدي السامي الذي يفترض أنه أتى من شمال سومر. وخلاصة القول ونظرًا لأن أرشيفات إيبلا بقيت بحالة جيدة على حالها فإنها تزودنا بمعلومات فريدة، كما أن النصوص المتفرقة التي تم الحصول عليها من مدينة تل بيدر (نبادا القديمة) بالإضافة إلى نصوص مدرسية متفرقة من ماري وبراك (ناجار القديمة)، توضح جميعها بإسهاب أن الكتابة المسمارية كانت تستخدم في جميع أنحاء سوريا في ذلك الوقت [19].

والخلاصة من ما تقدم هي بأن المدارس السومرية كانت المحرك والناقل الحيوي لأنتشار ألتعليم في تلك الفترة البعيدة في شعوب الشرق ألادنى، كما أن أنتشار ألنظام ألتعليمي لتلك المدارس حفظ للأجيال اللاحقة ليس تراث السومريين فحسب بل حتى تراث تلك الشعوب التي قلدته وعملت به وأسست لحضارات لاحقة ليس أقلها حضارة الآغريق وحضارة ألرومان، ولا عجب في أن الكثير من بصمات ذلك التراث كانت سائدة حتى وقت قريب في العديد من بقاع العالم.

المصادر

[1] Kramer S N. “The Sumerians”. PP 229-248. University of Chicago Press. 1963.https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/sumerians.pdf
[2] On Line Encyclopaedia. “Education for Scribes”. Encyclopedia.com. Accessed on 1st March 2023. https://www.encyclopedia.com/history/news-wires-white-papers-and-books/education-scribes
[3] Bertman S. “Handbook to life on Mesopotamia: Ancient Mesopotamia”. University of Windsor. 2003. PP 300-304. https://ia800901.us.archive.org/12/items/HandbookToLifeInAncientMesopotamiaStephenBertman/Handbook%20to%20Life%20in%20Ancient%20Mesopotamia%20Stephen%20Bertman.pdf

[4] Pearce L E. “The Scribes and Scholars of Ancient Mesopotamia”. From “Civilizations of the Ancient Near East”. Vol. IV., Page 2270. (Edited by Sasson J M) 1995. https://www.academia.edu/562267/_1995_The_scribes_and_scholars_of_ancient_Mesopotamia

[5] Woolley L. “School boy in Sumer”. The UNESCO Courier in the “History of Mankind”. PP. 14-16. June 1963 https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000078200

[6] Bertman S. “Handbook to life on Mesopotamia: Ancient Mesopotamia”. University of Windsor. 2003. PP 300-304 https://ia800901.us.archive.org/12/items/HandbookToLifeInAncientMesopotamiaStephenBertman/Handbook%20to%20Life%20in%20Ancient%20Mesopotamia%20Stephen%20Bertman.pdf

[7] Woolley L. “School boy in Sumer”. The UNESCO Courier in the “History of Mankind”. PP. 14-16. June 1963 https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000078200

[8] Lucas C J. “The Scribal Tablet-House in Ancient Mesopotamia”. History of Education Quarterly, Vol. 19, No. 3 (autumn, 1979), pp. 305-332 (28 pages).

https://ia804607.us.archive.org/29/items/lucas-1979-mespot-tablet-house/Lucas_1979_Mespot_Tablet-House.pdf

[9] Sjöberg Å W. “The Old Babylonian Eduba,” in Sumerological Studies in Honour of Thorkild Jacohsen on his Seventieth Birthday June 7, 1974, edited by Stephen J. Lieberman, Assyriological Studies, no. 20 (Chicago & London: University of Chicago Press, 1976), pp. 159–179.

https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/as20.pdf

[10] Kramer S N. “The Sumerians”. Page 234. The University of Chicago Press. 1963. https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/sumerians.pdf

[11] "Sumerian School Days," in World History Commons, (accessed March 1, 2023 https://worldhistorycommons.org/sumerian-school-days

[12] Mark J. “Schooldays: Sumerian Satire & the Scribal Life”. World History Encyclopaedia. Last modified January 13, 2023, accessed on March 1st. 2023

https://www.worldhistory.org/article/2144/schooldays-sumerian-satire--the-scribal-life/

[13] Kramer S N. “Schooldays: A Sumerian Composition Relating to the Education of a Scribe”. Journal of the American Oriental Society, Vol. 69, No. 4 (Oct. - Dec. 1949), pp. 199-215. https://www.jstor.org/stable/596246?origin=JSTOR-pdf

[14] Kramer S N. “The Sumerians”. PP. 237- 240. The University of Chicago Press. 1963.

https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/sumerians.pdf

[15] Landsberger B. "Scribal Concepts of Education". Discussion Introduced by Benno Landsberger In "City Invincible", A Symposium on Urbanization and Cultural Development in the Ancient Near East Held at the Oriental Institute of the University of Chicago, December 4-7, 1958. PP 94-101.
https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/city_invincible.pdf

[16] Woolley L. "School boy in Sumer". The UNESCO Courier PP. 14-16. June 1963 https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000078200

[17] Landsberger B. "Scribal Concepts of Education". Discussion by Benno Landsberger In "City Invincible", A Symposium on Urbanization and Cultural Development in the Ancient Near East Held at the Oriental Institute of the University of Chicago, December 4-7, 1958. PP 94-101.
https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/city_invincible.pdf

[18] Wikipedia (Arabic). "Ebla". Last updated 7th February 2023, accessed on 9th March 2023. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%A8%D9%84%D8%A7

[19] Michalowski P, "The Earliest Scholastic Tradition," in *Art of the First Cities: The Third Millennium B. C. from the Mediterranean to the Indus*, edited by Joan Aruz with Ronald Wallenfels, 2003), pp. 451–456.
https://ia800807.us.archive.org/27/items/ArtOfTheFirstCitiesTheThirdMillenniumB.C.FromTheMediterraneanToTheIndusEditedByJ/Art%20of%20the%20first%20cities%20%20the%20third%20millennium%20B.C.%20from%20the%20Mediterranean%20to%20the%20Indus%20%20edited%20by%20Joan%20Aruz%20%3B%20with%20Ronald%20Wallenfels.pdf

Abstract

The first schools ever known in history were founded by the Sumerians who occupied the lower part of Mesopotamia some 6000 years ago and established the first known civilization in history. Establishment of these schools rose from the growing need for specialized literate people who could perform and record all dealings connected to trade and economy, lawsuits, marriage, and other family affairs in addition to run the temple and place administration. In all this they had to learn and perfect the cuneiform script writing and reading with extensive training in mathematical operations. Graduates were scribes of all specializations covering the full range of social activities. The first school was discovered in Uruk which belonged to the beginnings of the early Sumerian dynasty and there were many more to be found in Ur ,Fara, Abu Salabikh, Nippur, and in other Sumerian cities. The school was called "edubba" in Sumerian and "bît tuppi" in Akkadian languages respectively, which meant "the House of Tablets" in reference to the clay tables used as writing and reading pads. Schools then admitted students from an age as early as eight and continued their training until early manhood when they become professional

scribes. Students normally were males coming from rich or influential families who could afford paying the school fees. Within the school, the faculty consisted of the headmaster or “adda edubba” which meant “father of the tablets house”, the “ummia” who exercised his authority as inspector, and the teachers who were learned scribes specialized in their own subjects and were helped with the older students called the “old brothers”. Many of these teachers devoted lot of their time for researching and writing in similar ways to the present day’s university professors. The while the students were called “Sons” and the whole organization was like a family. Discipline in the school was strict and students could be flogged for even trifle mistakes, misbehaviour or failings to do correctly their lessons and homework. The School system proved its longevity and endurance even after the sumerian language became extinct as a spoken language as its cultural heritage remained to be taught in the schools of the next civilizations which at the same time retained the same school system.

Keywords: Sumerians, Akkadian, Mesopotamia, Uruk, Ur ,Fara, Abu Salabikh, Nippur, edubba, bît tuppi, House of Tablets, Scribes, adda edubba, ummia, old brothers.